

حق التعبير في الشريعة الإسلامية والفوائير الوضعية



إيمن جعفر صادق التميمي



لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

حق التعبير في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

أيمن جعفر صادق التميمي

٢٠٠٨م

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٧٦٥ لسنة ٢٠٠٨

المقدمة

كثيرة هي التساؤلات التي أثّرت في ذهني عن مصطلح حقوق الإنسان بعد أن عانى الإنسان من هضم حقوقه ولاسيما حقه في التعبير عن رأيه فيما يمس حياته في البلدان النامية، وبعد أن عانت تلك البلدان من التوظيف الدعائي من جانب القوى السياسية والعسكرية الكبرى، وسياسة المعايير المزدوجة في استخدام العقوبات الدولية المنصوص عليها في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. و هل أن مرجعية المصطلح غريبة تعكس بعدا ثقافيا معيناً أم أنها تمثل وعياً إنسانياً عاماً يتجاوز نسبية المفاهيم الثقافية ويعطو عليها؟ وهل تكمن المشكلة في نوعية الخطاب و مركزاته و استهدافاته بعد أن حلت ثقافة الصورة بفعل تكنولوجيا المعلومات محل الفكر ولغته في عالم القوة و التقارب و الأخطار الكبرى؟

ولماذا تلجأ أغلب حكومات الدول النامية إلى حرمان المواطن من حق التعبير عن رأيه في الوقت الذي تؤكد فيه دساتيرها و قوانينها هذا الحق؟ وهل كان ذلك نتيجة لضعف التربية السليمة الواعية واليقظة انعكاساً لعدم توفر الحاجات الأساس للمواطن في أبعادها الثقافية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية؟ وهل ينبغي أن يكون حق التعبير مطلقاً أم مقيد؟ و هل هو مطلق في البلدان الغربية؟ وما هي شروطه وحدوده و مصادره في عقيدتنا الإسلامية وتراثنا العربي الإسلامي؟

كل هذه التساؤلات وغيرها طرأت على ذهني وأنا أختار موضوع بحثي الذي قسمته إلى فصلين بعد مقدمة تليها نتائج ما توصلت إليه، تضمن الفصل الأول منها موقف الشريعة الإسلامية التي تتمثل بكتاب الله وسنة المعصومين (ع) من هذا الحق، بينما تضمن الفصل الثاني موقف النظم الوضعية منه.

و قد أستغرق البحث مني بعض الوقت بسبب عدم وفرة المصادر الأجنبية التي تبحث في موضوع الفصل الأول جهلاً منها بوجوده في ثقافتنا و عقيدتنا بعد أن أغفله المنتمّن إليها أو تعمدوا من المستشرقين لغايات معروفة يقصدونها، على كثرة مصادرهم فيما يختص بثقافتهم و موقفها من القضية. كما أن مصادرنا العربية لم تفرد لحق التعبير

بوصفه واحدا من الحقوق الأساس في منظومة حقوق الإنسان بحثا منفردا يعد مرجعا للقاصدين إليه و بحثت فيها انطلاقا من إدراكنا أهميته الإنسانية ، أو انطلاقا من مقاصد معارضة سياسية لنظام حكم ما ، على نشر هذه الثقافة من خلال تصوير مخالفة السلطات التي تقف ضد مصالح مواطنيها وتستمد وجودها واستمراره من سكوت القوى الكبرى ورضائها المؤقت عنها، بدلا من أن يكون للمواطن دور في اختيارها.

التمهيد

حق التعبير في اللغة و الاصطلاح:

التعبير في اللغة مصدر من الفعل عبر بمعنى بين وأعرب بالكلام عما في نفسه و عبر به الأمر اشتد عليه، و عبر بفلان شق عليه، و عبر الرؤيا فسرهما، و عبر فلانا أبكاه (١). و قد وردت ألفاظ متعددة في كرم العرب بهذا المعنى و من هذه الألفاظ:

الحوار: فحاوره حوارا ، و محاوره: جاوبه وجادلته و قد يكون حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي ،أو بين ممثليْن أو أكثر على المسرح (٢).

الجدال: جادله مجادله ، وجدالا: ناقشه و خاصمه ، وتجادلا في الأمر: تخاصما فيه و الجدل : طريقة في المناقشة صورها الفلاسفة بصور مختلفة ، و هو عند منطقة المسلمين : " قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات " . و الجدليون : من اشتهروا بالجدل ، كالسفسطانيين بين اليونان ، و المعتزلة بين المسلمين (٣).

النقاش: نقش الشيء نقشا : بحث عنه و استخرجه. يقال نقش الشوكة بالنقاش ، ونقش الحق من فلان ، ونقش الشعر نتقه . و ناقشه مناقشة ، و نقاشا: استقصى في حسابه ، و ناقشه في المسألة : بحثها (٤).

التماحك : محك محكا: لج في المنازعة و تمادى في اللجاجة عند المساومة، وما حكه لاجه و غاضبه. وأمحكه الغضب جعله يلج و يتمادى في المنازعة وتماحك الخصمان تلاجا في المساومة (٥)

(١) المعجم الوسيط/ د. إبراهيم أنيس وآخرون. بيروت، دار إحياء التراث، د.ت (ط٢) ٢/ج مادة عبر

(٢) المصدر السابق / مادة حور

(٣) المصدر نفسه / مادة جدل

(٤) المصدر نفسه/ مادة نقش

(٥) المصدر نفسه/ مادة محك

الاقْتَباس : قبس النار قبسا :أوقدها وطلبها ، و قبس العلم:استفاده ، و قبس الرجل علما أو نورا: أفاده إياه. فهو قابس . واقتبس منه علما : استفاده ، و القبس : النار أو شعلة منها . و القوابس : الذين يقبسون الناس الخير ، أي يعلمونهم (١) .

المفاخرة: فخر الرجل فخرا ، وفخارا، وفخاره: تباهى بما له وما لقومه من محاسن وتكبر. وتفاخر القوم : فخر بعضهم على بعض(٢).

المناظرة: وهي مشتقة من الفعل ناظر بزيادة ألف على الأصل الثلاثي لنظر. وهي على وزن فاعل التي تعني وجود فردين يشتركان معا في عمل واحد في الوقت نفسه وكذلك من معانيها المنافسة بينهما ، فضلا عن نظر أحدهما إلى الآخر. و التناظر من النظير ، وناظر فلانا : صار له نظيرا له، وباحثه وباراه في المحاجة. وناظر الشيء بالشيء: جعله نظيرا له(٣) ويذكر الزبيدي (٥١٢٠٥هـ) أن المناظرة هي المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار ما يراه الإنسان ببصيرته و النظر هو البحث (٤) أما الجرجاني(ت ٨١٦ هـ) في "التعريفات " فيقول بأن المناظرة لغة من النظير بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارا للصواب(٥).

المكابرة: من الفعل كابر فلانا فلانا طاوله بالكبر وقال أنا أكبر منك. وكابر فلانا على حقه : جاحده وغالبه عليه . وكابر في الخير أو الحق : عائد فيه(٦). و للتعبير وسائط حديثة و معاصرة غير التي قصر اللغويون القدماء حديثهم عنها ربما بسبب عدم توفر هذه الوسائل في عصرهم آنذاك، و ربما بسبب أن عملية الحوار تتطلب وجود شخصين وشروط أخرى يقوم عليها التعبير عن الرأي كما يتبين

(١) المصدر السابق نفسه / مادة قبس

(٢) المصدر نفسه/ مادة فخر

(٣) المصدر نفسه/ مادة نظر

(٤) تاج العروس / مادة نظر

(٥) كتاب التعريفات/ الشريف الجرجاني- بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٨

(٦) المعجم الوسيط / مادة كابر

لاحقا. ومن هذه الوسائل:

الرسم : وهو تمثيل شيء أو شخص بالقلم ونحوه(١).

النحت: من الفعل نحت الشيء نحتا : قشره و براه . يقال نحت الخشب، ونحت الحجر ، ونحت الجبل : قطع منه. وفي التنزيل: "وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين"(٢).

الموسيقى : رمز لغوي يوناني مأخوذ من اسم المعبودة بمعنى الملهمة . وفي الاصطلاح علم طبيعي يدل على ترتيب الأصوات و تعاقبها بالشكل الذي يترتب منه الحان تستسيغها الأذن مبينة على موازين تكسبها طلاوة. و فن الموسيقى ينحصر فيعلم العزف على الآلات الموسيقية(٣). و الإيقاع أس الموسيقى ويفسر بضبط الزمن أما اللحن : فتتابع النغمات في شكل موسيقى موحد و تسلسل ديناميكي إيقاعي ودلالي يمكنه أن يشكل انفتاحا لأسئلة وقضايا تشغل بال المفكر المهتم بالحساسية الجمالية أو بدرجة الصراع السياسي أو الحضاري لمجتمع ما.. تارة وشاعري انسيابي تارة أخرى وهو عنصر ارتفاع الأصوات وانخفاضها(٤) كالجملة في آية لغة. ولا بد من أن يكون قوي التعبير ليحقق في المستمع الاستجابة.

الغناء: غنى : طرب وترنم بالكلام الموزون وغيره. وغنى بالمرأة: تغزل بها. وغنى فلان الركب بفلان : ذكره لهم في شعر . وغنى فلان الشعر و بالشعر ترنم به والأغنية ما يترنم به من الكلام الموزون وغيره(٥).

الرقص: تأدية حركات بجزء أو أكثر كمن أجزاء الجسم على إيقاع ما للتعبير عن شعور أو معان معينة، وهو أنواع (٦).

(١) المصدر السابق/ مادة رسم

(٢) المصدر نفسه/ مادة نحت

(٣) تاريخ الموسيقى الشرقية/ ١٣

(٤) أشهر الملحنين في الموسيقى الشرقية

(٥) المعجم الوسيط/ مادة غنى

(٦) المصدر نفسه/ مادة رقص

التصوير : الصورة : الشكل و التمثال المجسم . وفي التنزيل " الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك" وصورة المسألة أو الأمر: صفتها الصورة:

النوع. يقال: هذا الأمر على ثلاث صور. وصورة الشيء: ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل (١).

التمثيل: مثل الشيء لفلان : صورته له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه. ومثل المسرحية : عرضها على المسرح عرضاً يمثل الواقع للعبة و العبرة (٢).

السينما: "حقل إبداعي يفجر فيه الفكر الإنساني و المخيلة البشرية كثيراً من الطاقة فالسينمائي المبدع مفكر يستعمل الصور ومختلف الأدوات الأخرى المصاحبة لها لصياغة تفكيره . والقلم بوصفه تكثيف للحظة تاريخية واجتماعية وكنظام رمزي لصياغة تفكيره . والقلم بوصفه تكثيف للحظة تاريخية واجتماعية وكنظام رمزي صورة تحمل في ثبايا رموزها رسالة ما" (١) وهناك وسائل أخرى معاصرة للتعبير ليس من شأن البحث التفصيل فيها (٢).

ومما مر بنا، ومما يمكننا فهمه بعد الاطلاع على تراثنا الفكري يمكن أن نستدل أن التعبير عن الرأي يمكن أن يتضمن كما يقول الدكتور عماد النجار مايلي:

(٣) الإيمان الراسخ بالعقل وقدرته على تفهم ما يحيط به و تمييز الخطأ من الصواب

(٤) الإيمان بحرية التعبير، وذلك يتطلب انحسار العصمة عن أحد في المجتمع، واحتمال وقوع الإنسان في الخطأ والصواب ومن ثم يكون الحوار فطرة في تكوين الإنسان" وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً" (٥)

(١) المصدر نفسه/ مادة صور

(٢) المصدر نفسه/ مادة مثل

(٣) الخطاب السينمائي بين الكتابة والتأويل/ ١٥٣

(٤) الخطاب السينمائي بين الكتابة والتأويل/ ١٥٣

(٥) ينظر فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية نعمت إسماعيل علام مصر دار المعارف

(٣) التسامح : أن يسلم المجتمع بحق الاعتراض و المخالفة في الرأي وإمكان التوفيق بين المتحالفين في الرأي وإمكان التوفيق بين المتخالفين في الرأي . فالإقرار بحق المعارضة ومجاهرة الفرد بما يعتقد ولو كان يخالف فيما يعلن رأي المجتمع، فحريته مكفولة. ومن هنا تكون وظيفة حق التعبير:

(١) التعبير عن الذات

(٢) وسيلة لتقويم المجتمع و ترشيده.

ولابد من توفر متطلبات في عملية الحوار، منها ما يختص بشخصية المتحاورين ، ومنها ما يختص بمعرفة الموضوع المتحاور فيه ، ومنها ما يشمل أسلوب الحوار، وكذلك المحيط الذي يقع الحوار ضمنه.

أما الحق: فهو من حق الأمر حقا و حقة وحقوقا: صح و ثبت و صدق. في التنزيل " لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين" ويقال يحق لك أن تفعل كذا : يسوع (٢)

والحرية : الخلو من الشوائب أو الرق أو اللوم (٣)

والرأي : الاعتقاد و العقل والتدبير و النظر والتأمل ، و ارتأى الشيء : أبصره (٤) " ولم تكن فكرة الحق في أول أمرها فكرة قائمة بذاتها، بل مجردة تطبيق خاص للقواعد القانونية التي وضعتها الجماعة لتبينها ما هو جائز و ما هو غير جائز . فلما جاء عصر النهضة بدأت فكرة الحق تتخذ صورة جديدة تتمثل في اعتبار (عد) الحق ميزة عزيزة على الأفراد تنقرر لهم بمقتضى القوانين ، ويقوم القضاء على حمايتها ، يجد فيها الفرد من الضمانات ما يدعم وجوده ويكفل حريته فصارت بذلك مصدرا لطمأنينته ومثابة لأمنه... وفي أديار القرن الثامن عشر صدر إعلان حقوق الإنسان فكان لذلك الإعلان أثره البالغ

(١) النقد المباح: دراسة مقارنة. القاهرة: دار النهضة العربية، ص ١٩٧٧-١٦٨

(٢) المعجم الوسيط/ مادة حق

(٣) المصدر نفسه/ مادة حر

(٤) المعجم الوسيط/ مادة رأي

ففي نفوس الناس.. إلى أن جاء العصر الصناعي، القرن التاسع عشر، وما أدى إليه من خلق طبقة ضخمة من الأجراء (البروليتاريا) فكان لذلك تأثيره العميق في بعض الفلاسفة ورجال الفقه، الذين سعوا لزعزعة أوضاع كانت تعد مستقرة ونهائية، فأخذوا يهاجمون فكرة الحق، يريدون ليستبدلوا بها فكرة أخرى هي فكرة تطبيق القاعدة القانونية " (١) وتتجلى الفروق بين الحق و الحرية من نواح نجلها فيما يلي:

ا- الحق ميزة مشروطة... أما الحرية فالأصل فيها إنها غير مشروطة...

ب- الحق ذو طابع إيجابي وحسب، أما الحرية فذات طابع إيجابي وسلبي معا (٢).

ولدينا من تراثنا الأدبي العديد من أجواء حق التعبير في المجتمع مثل الحوار في أدب عصر ما قبل الإسلام الذي تجلى في المفاخرات، والمنافرات، و الحوارات في أمور ولدينا كتب متخصصة ، ونصوص تتضمنها كتب من مناظرات وحوارات نشأت في عصور تاريخية متعددة ، ومن هذه الكتب " عيون المناظرات " لعمر السكوني (ت٧١٧هـ) وهو يتضمن مجموعة من نصوص المناظرات التي قامت حول علم الكلام(موضع اهتمام الناس) وقد جمعها المؤلف و أورد الحوارات التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم، وبين محمد(ص) وبين قومه، وبين معاصريه من الديانات الأخرى و " الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي(٤١٤ هـ) الذي جمع مناظرات فلسفية في القرن الرابع الهجري . ويزخر كتاب " وفيات الأعيان " لأبن خلكان(٦٨١هـ) بالإشارة إلى مناظرات وترجمات أعلام وأخبارهم. ويذكر "الفهرست" لابن النديم(٣٨٠هـ) تلك المناظرات في معرض حديثه عن المؤلفات.

وكذلك فعل الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ) في "تاريخ بغداد" الذي ذكر مناظرات جرت في بغداد و المسعودي (٣٤٦هـ) في "مروج الذهب". ويلخص الأصفهاني(٣٦٥هـ) في "الأغاني

(١) الحق وفقاً للقانون الكويتي/د. عبد الحق حجازي/ جامعة الكويت، ١٩٧٠/ص ١٠

(٢) المصدر نفسه/ص ١٣٤

"مناظرات القرون الثلاثة الأولى و يقدم الشريف المرتضى (٤٣٦هـ) في "الامالي" معلومات مهمة عن مناظرات متكلمي عصره. و كذلك فعل التنوخي (٣٨٤هـ) في "نشوار المحاضرة" و المبرد (٢٨٦هـ) في "الكامل" وهذا يؤكد للقارئ تطور فن الحوار وازدهاره في العصور الإسلامية الأولى (١)

(١) ينظر المناظرات في الأدب العربي الإسلامي/الدكتور حسين الصديق، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٠م، ٤٥٥ص

الفصل الأول

حق التعبير في الشريعة الإسلامية

أولاً: حق التعبير في القرآن الكريم

يذكر علماء التقنية البيولوجية (biotechnology) في بحوثهم المنشورة في الانترنت عن الاستنساخ (cloning) بأنه بعد أن يتم تلقيح البويضة البشرية الأنثوية من النطفة الذكرية، تتشكل البويضة الملقحة التي تبدأ بعملية الانقسام، حيث تنتج خليتين ثم اربعا فثمانية و بعد ذلك ستة عشر و هكذا. وتبقى هذه الخلايا مجتمعة مع بعضها البعض لتشكل مكوثر (clump) و تبدأ عملية التعشيش في باطن الرحم و بعد لانتهاء من عملية الانقسام الذي غايته التكاثر العددي ، تبدأ عملية النمو والتمياز (specialization) فتصبح بعض الخلايا متخصصة في نقل الأوكسجين و ثاني اوكسيد الكربون وتسمى (كرات الدم الحمراء). وبعض الخلايا تسطن الأوعية الدموية ، و بعضها الآخر تكون العظام ، وبعضها تستعمل للإحساس مثل الخلايا العصبية ، وتستمر عملية الانقسام حتى يتكون الجنين الكامل بخلاياه المتخصصة المختلفة ليحمل الصفات الوراثية للأب و الأم معا. ولتصبح الخلايا متخصصة عليها أن تنتج جينات التخصيص وبكميات مختلفة حتى يصل عددها في خلايا الإنسان إلى (٣٣٠٠٠) جين الذي يعد شفرة ليصنع بروتين معين يشارك في منح صفة وراثية. وتلك البروتينات مهمة للقيام بوظائف مختلفة مثل الأنزيمات ، و الهرمونات ، وعوامل النمو. وفضلا عن الخلايا المتخصصة في الجسم هناك خلايا غير متخصصة تسمى الخلايا الجذعية التي تقوم بتوليد خلايا جديدة للتعويض عن الخلايا التي تموت بأخرى جديدة (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم)(١). تلك هي سنة الله تعالى في خلقه ، ذلك أن تميز البشر من بعضهم بعضا حقيقة كونية(بلى قادرين على أن نسوي بنانه) (٢) . و هذا التميز يشمل الخلق والاختلاف في مستوى العلم ، والمعرفة ، والذكاء، والفطنة (نرفع درجات من نشاء وفوق كل

(١)الحج/٥

(٢)القيامة/٤

ذي علم عليهم (١) . والاختلاف في الرزق (نحن قسمنا معاشيتهم في الحياة الدنيا) (٢)، والاختلاف في الأعراق (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا ونساء) (٣) ، والاختلاف في اللغات وتعددتها (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم واللوانكم) (٤) والاختلاف كظاهرة طبيعية في استجابة البشر لرسالات الله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من حق عليه الضلالة) (٥). ولكن الحكم النهائي الفاصل لله تعالى يوم الحساب (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) (٦٨) . وقد اقتضت حكمة الله هذا التنوع الذي يرتبط بقناعات الإنسان فيما يعتنق من عقيدة ويؤمن به من منهاج (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) (٧) وأما نوازع ودوافع الاختلاف من وجهة نظر الدكتور عبد الهادي الفضلي، فمن أهمها : (٨)

- ١- الفوارق الفردية في نسب تفاوت الذكاء عند بني الإنسان
- ٢- التباين في النظرة إلى واقع الحياة و واقع الإنسان .
- ٣- تناقض المصالح الشخصية فردية وجماعية وتضاربها
- ٤- تفاوت مستويات القدرة على فهم النصوص في إطار الخلفيات الثقافية.

وإن ابرز ما نستفيدة من الحوار كما يتجلى في القرآن الكريم وآياته البينات هو أن نتقبل حرية الفكر وحقا لآخرين في التعبير عن أفكارهم شرط أن لا تفسد البنية الاجتماعية التي نعيش فيها مادامنا نؤمن بأن

(١) يوسف/٧٦

(٢) الزخرف/٣٢

(٣) النساء/١

(٤) الروم/٢٢

(٥) النحل/٣٥

٦ الحج/٢٤

(٧) المائدة/٤٨ (٨) مقدمة كتاب شرعية الاختلاف/ لعبدالله اليوسف-بيروت، دار الصفوة، ١٩٩٦، ص ١٢٤

العقل حجة الله الباطنة علينا كما أن الانبياء ، و الرسل والأئمة ، حجة الله الظاهرة . (فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون)(١). ومثل قوله تعالى (لكل جعلنا شريعة ومنهاجا و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلبواكم فيما آتاكم)(٢). ومادمننا نؤمن بتكريم البارئ سبحانه للإنسان(ولقد كرّمنا بني آدم) (٣) ومنحه حق التفكير والاختيار(فأنت تكره الناس حتى تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)(٤) وأن (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)(٥). ولعل الباحث في آيات الكتاب المبين التي جرت بأسلوب الحوار يمكن أن يقف على حقائق تضيء له السبيل ومنها:

أن عليه أن يكون على وضوح تام بالموضوع الذي تطرق إليه الحوار، بوصف الغاية المرادة من هذا الحوار هي معرفة الصواب والوصول إلى الحقيقة فيما اختلفت فيه وجهات نظر المتحاورين، مثل قوله تعالى(هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون) (٦) فالله سبحانه وتعالى يدعو القوم الذين ينسبون إبراهيم(ع) ودينه إلى اليهودية أو النصرانية من دون علم إلى سماع القول الحق من العليم الحكيم ماداموا لا يعلمون، ومثل قوله تعالى(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)(٧) والآية الكريمة في معرض تحذير المشركين من عاقبة الطعن في القرآن الكريم من قبل أن يفقهوه ويعلموا ما فيه ، وهي تدعوهم إلى النظر فيما أل إليه حال الأمم السابقة من عذاب وهلاك بسبب ظلمهم وطغيانهم. وكقوله تعالى(إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) (٨) ذلك من يخاصم ويجادل و يتكبر في آيات الله المنزلة على رسوله الكريم من دون برهان ومن دون حجة أن يطفئ نور الله

(٥) المائدة/٤٨

(٦) البقرة/٢

(٧) الإسراء

(٨) يونس/٩٩

(١) الأعراف/١٧٨

(٢) يونس/٣٩

(٣) غافر/٥٦

(٤) آل عمران/٦٦

مهما بلغ كيدِهِ. وقد يكذب الباري سبحانه و تعالى دعوى المفسدين بصورة مباشرة، مثل قوله: تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (١)، فقد تصدرت الجملة القرآنية بحرفي التأكيد ألا، ثم أن المؤكدين وتعريف الخبر وتوسيط الفعل والاستدراك بعدم الشعور. (٢) و قد يقلب سبحانه وتعالى على المشركين دعواهم مثل قوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان أن كنتم صادقين) (٣) فالله تعالى هو الذي من على عباده بالهداية للإيمان وليس لكم أن تظنوا أن اسلمة نفوسكم منة على رسول الله (ص). وقد ينكر الباري سبحانه على الكافرين ويوبخهم في حوار على لسانه معهم مثل قوله (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) (٤) فالاستفهام في الآية الكريمة للإنكار والتوبيخ فليس لعبد أن يخبر خالقه العليم الذي لا تخفى عليه خافية بما في نفسه في معرض رده تعالى على قول الإعراب أمنا وذلك أن الإيمان تصديق الجوارح لما وقر بالقلب وأطمئن فيه والأعراب تمن على رسول الله (ص) بالإسلام وترك محاربتة . وكقوله تعالى في معرض الاستفهام للتوبيخ والتقريع لبني إسرائيل حين صاغ لهم السامري من حليهم المذابة عجلا جسدا له خوار قائلا لهم هذا العجل إلهكم وإله موسى فعكفوا عليه يعبدونه ، وهذا من سذاجة عقولهم وضعف عقيدتهم (أفلا يرجع إليهم قولا ولا عليك لهم ضرا ولا نفعا) (٥) بمعنى أفلا يعلمون أن العجل لا يرد لهم جوابا لا يدفع ضرا، أو يجلب نفعا فكيف يكون إلها وقد نصحهم هارون ، وذكرهم من قبل رجوع موسى (ع) إليهم. وقد يرد كلام الله تعالى بصيغة التعجب والإنكار لقول المشركين المكذبين بالبعث:

(١) البقرة/١١

(٢) صفوة التفاسير/محمد علي الصابوني، بيروت، دار القرآن، ٣، ١٩٨٠ ج/١ ص ٣٦

(٣) الحجرات/١٧

(٤) الحجرات/١٦ (٥) طه/ ٨٨

كيف سنخلق بعد أن نفنى؟ ويأمر تعالى رسوله الكريم أن يحاورهم قائلاً أن الله لا يعجزه شيء وهو الذي فطركم أول مرة من العدم وكل ما هو آت قريب. قوله تعالى (وقالوا إذا كنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا) (١). وقد يرفض رسول الله (ص) عناد الكفار وجدالهم وتعمدهم اقتراح معجزات إضافية في حوارهم معه طالبا لتأكيد صدقه مثل قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) (٢) ذلك أن الرسول ليس سوى محذر و مبصر، فلكل قوم نبي يدعوهم إلى الله وأما المعجزات فأمرها بيد الخالق وحده. وحين يقول اليهود والنصارى و المشركون أن الله تعالى ولدا، يقصد الله نفسه في حوارهم معه على لسان النبي عما زعموا، فهو خالق كل شيء (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون) (٣) وحين يقول بعض المشركين بأن الملائكة بنات الله يقول الله سبحانه لرسوله قل لهم تنزه الله ذلك أن الملائكة عباد الله المبعوثون اصطفاهم تعالى فهم مكرمون عنده مطيعون لأوامره (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) (٤).

وقد يأتي الحوار على لسان نبي و رسول أو رجل صالح، وقد يأتي بشكل توجيه رباني إلى رسول الله (ص) في أن يقول ما يرد به في حوارهم مع الآخرين (٥) مثل قوله تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا) (٦).

ولابد من مراعاة اللطف في القول في أثناء الحوار واحترام الرأي الآخر ونبذ الأساليب التي لا تتسجم و روح الدعوة الربانية للهداية مثل قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتتي هي أحسن) (٧). ولابد للدعاة العاملين من أن يدفعوا بحلمهم جهل من يجهل عليهم فإذا ما دفعوا السيئة بالحسنة مثل الصبر عند الغضب، و الحلم عند الجهل، و العفو عند الإساءة

(٥) فن الحوار/ زهير محمد جميل كتيب، د.م، ١٩٩٤، (ج٣)

(٦) الكهف/ ٣٤

(٧) النحل/ ١٢٥

(١) الإسراء/ ٤٩

(٢) الرعد/ ٧

(٣) البقرة/ ١١٦

(٤) الأنبياء/ ٢٦

صار العدو كالصديق القريب، ومنزلة الدعاة الرفيعة هذه لا ينالها إلا من جاهد نفسه واحتمل الأذى في سبيل الله واستعاذ بالله من كيد الشيطان. وعليك يا رسول الله واتباعك أن تدعوا الناس إلى شريعة الله تعالى بالأسلوب اللين المؤثر وتحاور المخالفين بأفضل طريقة تقنعهم فيها بالحجة و الرفق و ليس عليك بعد ذلك هدايتهم إن رفضوا الرضوخ للحقيقة ، فليس هدفك غلبة الآخر بل إزهاق الباطل فحسب وما عليك إلا البلاغ المبين(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن إن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين(١).

ولابد من ظروف موضوعية يتم فيها الحوار والتعبير عن الرأي بعيدا عن العصبية والثورة والانفعالات التلقائية التي تشيع جوا يعكر صفو المتحاورين، وتحول بينهم وبين قبول الرأي الآخر وتحكيم العقل والرضوخ إلى الحق (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)(٢). فاستخدام الاستفهام للإنكار و التعجب و التوبيخ من جواب المشركين الذين يصرون على تقليد آباءهم من دون أعمال دور للعقل و المنطق و البرهان دلالة على المنطق الهادئ الذي يجب أن يسود الحوار ، فلا تقليد مقبول مع وضوح الخطأ ولارفض حين تتجلى الحقيقة ناصعة ، والعقل أولا و البصيرة تنير درب الباحثين عنها لا التقليد الأعمى فحسب. وحين يكذب ويسرع إلى الكفر من دون تأمل من يكفر ويقول بأن القرآن سحر مبين و يكذب محمدا عن ظن و تخمين كما كذبت من قبله أقوام سابقة فهلكوا قل يا رسول الله لهذا وذاك إنما أنصحكم بتحري الحق و التأمل في أمر رسول الله(ص) وما ظهر على يديه من كتاب معجز لا يمكن أن يكون مجنونا فتصلوا إلى حقيقة دعوته وما هو إلا رسول رب العالمين لا يسألكم إلا السير في طاعة الله وأجره على الله وحده، الذي هو على كل شئ شهيد(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن

(١)النحل/١٢٥

(٢)البقرة/١٧٠

هو إلا نذير بين يدي عذاب شديد) (١) . و تتكرر هذه الدعوة على لسان هود مع قومه (عاد) (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) (٢). وحين يعظهم يستخفون ولا يبالون بما خوفهم به (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا وعظمت أم لم تكن من الواعظين) (٣)، فأهلكهم الله بذنوبهم ذلك أن دعوة الرسل واحدة ، وكل رسول يذكر قومه بالغاية من بعثته ورسالته (كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوني) (٤) ذلك الجو من الحوار الهادئ الذي ينقلنا إلى تلك الأجواء الرائعة التي كانت الدعوات إلى الله تعالى تسير في طريقها إلى قلوب المتلقين بسلام وطمأنينة بالغة فتفجر فيهم طاقات الخير العميم وحب البشرية جمعاء (لا إكراه في الدين) (٥) ثم (و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٦) ومادامت حرية التفكير مطلقة فمن البديهي أن تكون حرية التعبير عن هذا التفكير مطلقة كذلك. وهذا ما نلاحظه جلياً في سيرة رسول الله (ص) وسنة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام جميعاً بوصفهم خلفاؤه من بعده ، فلا بد من احترام الرأي الآخر وصاحبه وكل ما ليس قطعياً من الأحكام الشرعية أمر قابل للاجتهاد وصلاح الغاية يستلزم صلاح الوسيلة كما يقال في الوصول إليها ويؤكد القرآن الكريم على احترام شخصية المحاور (قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون) (٧) . ذلك أن نفرة المشركين عن توحيد الله أمر معلوم فسادهم، وإن أصروا عليه فلا عليك بهم كذلك (إن ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (٨).

(١) سبأ/ ٤٦ (٢) الشعراء/ ١٢٧ (٣) الشعراء/ ١٣٦ (٤) الشعراء/ ١٤٣ (٥) البقرة/ ٢٥٦
(٦) الكهف/ ٢٩ (٧) الزمر/ ٣٩ (٨) السجدة/ ٣٢ و البقرة/ ٢٥٣، ١١٣، يونس

ثانياً: حق التعبير في سيرة رسول الله محمد(ص)
كان الناس أمة منسجمة في الغايات والأهداف في " مرحلة الفطرة " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا " (١)، بيد أن الإنسان في مرحلة تالية أخذ يشعر بتميز ذاته عن سائر انداده من البشر فسعى وراء حاجات شتى قد تعارضت مع حاجات غيره من الناس " وإنه لحب الخير لشديد " (٢) ، فظهر الاختلاف ولم تعد الفطرة بكل موحياتها قادرة على سياسة حياة الناس.

ومن هنا كان لابد من الأنبياء يحملون رسالات الله تعالى للناس يربونهم ويزكونهم لتسود العدالة على وجه الأرض " فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " (٣) ، وتداركت رحمة الله عباده لإشاعة الاستقرار والعدل و الطمأنينة في المجتمع، ولم يقرر الأنبياء وقد تولوا سياسة أمور الناس إنهم ليسوا بشراً قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم " (٤) فالحكم لله وحده و لا سلطان لأحد على أحد و السيادة لتشريع الآله فحسب الذي يهدف إلى ازدهار القيم الحضارية في المجتمع كالعدالة و الحرية و المساواة و التكافل الاجتماعي ، وغيرها من القيم التي تعمل مجتمعة على إدامة توجه الناس في حياتهم نحو الخالق الواحد الفرد الصمد. وهكذا جاءت الأحكام التي قام عليها الفكر الإسلامي مناسبة لكل زمان و مكان ، ومنسجمة مع الفطرة الإنسانية، وهذه الأحكام لها أسلوبان في تنظيم حياة البشر هما: أولاً: وجود أحكام محددة عن طريق النصوص و ما يستنبط منها من قضايا تحت عناوين: الوجوب ، والاستحباب ، والإباحة ، و الكراهة ، والحرمة و ثانياً: إعطاء صلاحيات إصدار أحكام محددة على أساس تقدير المصلحة العامة بما يناسبها من تشريعات دعا خاتم الأنبياء محمد(ص) قومه إلى عبادة الله تعالى وحده وتحمل في سبيل ذلك الدعوة الكثيرة من الأذى ، فقد أبتلي بالكفرة و المشركين و باليهود و المنافقين فاتهموه بالجنون و بالسحر و بالشعر (٥)، وكان منهجه التوجيه القرآني "فاعرض عنهم وعظهم" (٦) و كان بهذا " مبتعداً عن الذاتية في المضمون الفكري ، على خلاف القاعدة المتبعة في المنهج العلمي

(١) يونس/ ١٩ (٢) العاديات/ ٨ (٣) البقرة/ ٢١٣ (٤) إبراهيم/ ١١
(٥) الحج/ ٦ ، الصافات/ ٣٥ (٦) النساء/ ٦٣

للحوار، هذا المنهج الذي يؤكد على الجانب الذاتي في الالتزام بالفكرة مع إعطاء موقع احتمالي للانفتاح على الفكر الآخر ولتوضيح ذلك نقول : إن المنهج الحوارى المعروف في العالم يختصر في هذه الكلمة " رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب " . أما المنهج القرآني فيتلخص في الآية الكريمة " وأنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين " (١) ، فالمحاور هنا لم يطرح صوابية فكرة وخطأ الفكر الآخر، على أساس القناعة القوية لديه بل على أساس فكرة مطروحة يتساوى احتمال الخطأ و الصواب في طبيعتها الواقعية " (٢) ورسول الله (ص) في هذا المنهج القرآني لا يقصي الرأي الآخر وإن " صدر الإسلام يتسع لاختلافات الآراء فلا نضيقه بأهوائنا ونوازنا الذاتية السيئة فلا بد لنا أن ندير خلافاتنا بصفاء قلب وعفة لسان وحرص متبادل على صون الكرامات وحفظ المودات " (٣) ، " إنه الحوار الهادي الخالي من الانفعال، إنها دعوة الحق التي قابلها المشركون بالعناد واتهموه بأنه افترى القرآن " (٤) ، و هكذا كان حوار رسول الله (ص) مع جميع الأطراف من يهود ومشركين ونصارى وغيرهم . و يروى عنه (ص) " أنه عندما قسم غنائم معركة حنين أجزل للمؤلفة قلوبهم و للمهاجرين، وأقل للأنصار ، فغضبوا وقالوا : لقي رسول الله قومه ، فبلغه ذلك ، فجمعهم وخطب فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم ، و موجدة وجدتموها؟ إني سألتكم عن أمر فأجيبوني ، أستم كنتم ضلالا فهداكم الله بي ؟ ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي ؟ ألم تكونوا قليلا فكثركم الله بي ؟ عالة فأغناكم الله بي ؟ وأعداء فألف قلوبكم بي ؟ قالوا: بلى والله، فله ورسوله الأمن والفضل . فقال : ألا تجيبوني بم عندكم؟ قالوا: بم نجيبك فذاك آبائنا وأمهاتنا ؟ قد أجبناك بأن لك الفضل والأمن والطول علينا . قال : أما لو شئتم لقلتم فصدقتم :

(١) سبا / ٢٤

(٢) في أفاق الحوار الإسلامي المسيحي/ محمد حسين فضل الله بيروت، دار الملاك، ١٩٩٤، ص ١٩

(٣) الأهل و الدولة/ محمد محفوظ بيروت، دار الصفوة، ١٩٨٨، ص ٩٦

(٤) المجادلة بالتي هي أحسن/ د. حازم الحلي لندن، مجلة النور، ع ١٥٧، ص ١٤

حزيران يونيو ٢٠٠٤

وأنت قد جئتنا مكذبا فصدقناك، و مخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وخائفا فأمنّاك، وعائلا فأسيناك. فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقاموا معتذرين" (١)

بهذا الحوار الهادئ والأسلوب اللطيف يربّي أشرف خلق الله أصحابه وقد صدر عن بعضهم ما لا يتفق وعمق إيمانه من غضب لأنفسهم ومثل هذه المواقف تملأ كتب السيرة. ويروي السيد سامي البدر في " السيرة النبوية" أن قريشا بعثت في السنة السادسة للهجرة سهيل بن عمرو العامري وحويطبا وبعثت رسول الله الإمام علي (ع) في صلح الحديبية فاصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين فعظم الصلح على نفر من المسلمين، فجعل عمر بن الخطاب يرد على رسول الله (ص) الكلام ويقول علام نعطي الدنيا في ديننا فجعل الرسول (ص) يقول أنا رسول الله ولن يضيعني فقال: أو كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. فأخبرتكم إنا نأتيه هذا العام؟ قال: لا. فأنتك آتية ومطوف به. قال عمر: أرتبت ارتيابا لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ راجعت النبي وراجعت النبي (ص) مراجعة ما راجعة مثلها قط ولو وجدت ذلك اليوم شيعة (وفي رواية مائة على مثل رأي) تخرج عنهم رغبة القضية لخرجت وهذه الرواية تدل على مدى معاناة النبي الأمين من قومه حتى من كان في أصحابه. وفي السنة العاشرة من الهجرة تتابعته الوفود على رسول الله (ص) ومنها وفد نصارى نجران حين قدم على الرسول (ص) فدارسوه يومهم وسائلوه ما شاء الله، فقال أبو الحارثة يا محمد ما تقول في المسيح؟ قال: هو عبد الله ورسوله. فقال: تعالى الله عما قلت، يا أبا القاسم هو كذا وكذا. ونزل فيهم " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " ، فرضوا بالمباهلة، فلما أصبحوا قال أبو حارثة: انظروا من جاء معه وغدا رسول الله أخذ بيده الحسنين

(١) كلمة الرسول الأعظم/حسن الشيرازي، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٢ ط ٣، ص ٢٢٤ نقلا عن أعيان الشيعة ج ٢ ص ١٩٤

تتبعه فاطمة وعلى بن أبي طالب(ع) بين يديه وغدا العاقب و السيد بابنين لهما عليهما الدر و الحلى فقال أبو الحارثة من هؤلاء معه؟ قالوا هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناهما. فجثا رسول الله(ص) على ركبتيه ثم ركع . فقال أبو الحارثة: جثا و الله كما يجثو النبيون للمباهلة، فقال له السيد أدن يا أبا حارثة للمباهلة ، فقال :إني أرى رجلا جريئاً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً فأن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام، قال أبو الحارثة : يا أبا القاسم لا نباهلك ولكننا نعطيك الجزية، فصالحهم رسول الله على الفئ"(٣) وهذه صورة أخرى من حوارات الرسول الكريم(ص) مع المجتمع الذي عاش فيه تؤكد صبره في تبليغ الرسالة وإبلاغها للناس جميعاً.

و لو توقفنا على مؤشر دال آخر في سيرته(ص) و قد أتم بناء المسجد في يثرب في السنة الأولى للهجرة وادع بين المهاجرين و الأنصار و اليهود و كتب بالموادعة كتاباً قبل واقعة بدر الكبرى " تميز بمعالجة إنسانية متطورة للعلاقة بين التكوينات الاجتماعية و السياسية للمجتمع الأهلي الحديث العهد بالإسلام، يعد بمثابة الخطوة الأولى لبرمجة الحقوق المدنية والاجتماعية في الإسلام المتضمنة للمبادئ والأسس الخاصة بالتعايش السلمي بين المكونات الاجتماعية التي تشكل مجتمع المدينة بصيغته التعددية المؤلفة من المسلمين و النصارى و اليهود و القبائل العربية التي بقيت على وثوقيتها و لم تسلم بعد ، و هذه الوثيقة هي أول إصدار مدني شرعه رسول الله (ص) بوصفه حاكماً ينظم العلاقات الاجتماعية ويؤسس لانبثاق الأمة ذات الصفة التعددية متمثلة بالقبائل الساكنة في المدينة وما حولها ذات المصالح المختلفة، والمتباينة العقائد والأديان و المنطلقة نحو عالميتها (٤) وكانت "وثيقة المدينة، أو" الصحيفة" ، أو ما أطلق عليه بعض الباحثين دستور المدينة التي افتتح بها النبي(ص) إقامته في يثرب بهدف تدعيم البناء الداخلي للمجتمع الجديد الذي كان رسول الله (ص) يضع لبناته الأولى وتعود الصحيفة في

(١) السيرة النبوية تدوين من مختصر مع تحقيقات وأثرات جديدة/ سامي البدري-طهران، مطبعة

الكرماني، ١٤٢٠

(٢) ال عمران/٦١

(٣) السيرة النبوية، مصدر سابق، ص ٢٥٨

(٤) الحق قديم/ غاثم جواد ، القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٠، ص ٢٤

صيغتها الحالية إلى عام ٦١٧... وإن العناصر الهامة التي تنطوي عليها وثيقة المدينة حسب قراءة د. طيب تيزيني تتحدد بثلاثة: الأول: هو الإقرار المتبادل بوجود الآخر وبشرعيته الكاملة، أما الثاني: فيقوم على أساس التعاهد على عدم الاعتداء من قبل أحد الأطراف على الآخر، في حين يشير العنصر الثالث إلى دعوة أطراف الوثيقة كلهم جميعاً إلى بناء مجتمع لا يتحدد الانتماء إليه على أسس دينية فقط. فالانطلاق في تحديد المجموعات المعنية من مواقعها الدينية و اللادينية إنما يهدف لتجاوز هذا المنطق و الوصول بها إلى ضابط أكثر شمولاً هو كونها موجودة في بنية اجتماعية مدنية معبر عنها دستورياً أي بما قد يصح أن يعتبر دستوراً ممثلاً بالصحيفة إياها. أما الدلالات المعاصرة التي يمكن قراءتها و التوقف عندها في الصحيفة المذكورة فهي عديدة ، ولعل أولها قدرة الإسلام الأول ممثلاً بشخص النبي على إدارة شؤون الحكم و المجتمع وإدارة التحالف و الصراع وفق صيغ و قوانين وضعية مما يعني أن يعيشون فيه بما يتعارض مع دعوى الحاكمية لله كما برزت في الخطاب نظام الحكم في الإسلام متروك للبشر وفقاً لحاجاتهم وظروفهم و العصر الذي الإسلامي المعاصر. أما الدلالة الثانية والأهم من وجهة نظر ايستمولوجية فهي إمكانية قراءة وتأويل التجربة الإسلامية من مواقع فكرية و اجتماعية متعددة بعيدة عن الإدعاء باحتكار الحقيقة أو احاديثها وبهذا المعنى يكون التراث عاملاً إيجابياً وفاعلاً (١). سنعيد ما سبق وذكرناه جواباً على ما استدل به الدكتور كريم أولاً بقولنا أنه من المعروف بأن الأحكام التي صيغ منها الفكر الإسلامي جاءت على قسمين منها أحكام ثابتة و مستقرة لا يجوز تطوير صيغتها التشريعية لأنها تتناول الثابت و المستقر من علاقات الإنسان و نشاطه مثل التوحيد الخالص لله سبحانه و سيادته المطلقة وأن الوحي هو مصدر التشريع وأن ولاية الأمر للمعصوم ونائبه، و المساواة بين البشر أما النمط الثاني فهي أحكام غير ثابتة يجوز تغيير صيغتها التشريعية و تعدد صور تطبيقها وفق اجتهاد ولي الأمر في ضوء المصلحة العليا و ينشأ عنها الفكر السياسي المتطور.

(١) إشكالية مفهوم المجتمع المدني/د. كريم أبو حلاوة-دمشق، الأهالي للطباعة، ١٩٨٨، ص ١٠٦

ثالثاً : حق التعبير في سيرة أهل البيت (ع)

ارسي الأئمة (ع) من أهل بيت النبي محمد(ص) من خلال سيرتهم حقيقة مفادها إن حرية التعبير عن الرأي وفق التصور الإسلامي مكفولة للإنسان بوصفها حقاً طبيعياً بعد تحصيل حاصل لحرية التفكير التي تعد من أبسط حقوق الفرد المسلم في المجتمع الإنساني ، وهي من الحريات الأساس للفرد بوصفه جزءاً من كيان اجتماعي تمهد السبيل للفرد من أجل المساهمة في إدارة شؤون الأمة التي ينتمي إليها ، وقد سار الأئمة (ع) على منهاج رسول الله (ص) كما تبين لنا ذلك فيما سبق و كما يمكن أن نفترضه من عقيدتنا لخصوص دلالة لفظ الإمام المعصوم و كما يحدد لنا ذلك الكتاب الله (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا و لولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون)(١)

و لو تأملنا قليلاً في حياة أول الأئمة علي بن أبي طالب(ع) لوجدنا الدروس العملية تترى في كيفية التعامل مع السراي الآخر و احترامه، وتكريس مفهوم احترام التعددية وفق الضوابط التي أقرها الشارع المقدس على أرض الواقع . ومن تلك الأمثلة ما رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأسدي الكوفي (ت ٥١٥٧هـ) (٢) من أن الأنصار كانوا قد اجتمعوا في مسجد رسول الله (ص) لينظروا من يولونه أمرهم بعد مقتل الصحابي و الخليفة الثالث عثمان بن عفان فاتفق رأي عمار بن ياسر (٣) وأبي الهيثم التيهان (٤) ورفاعة بن رافع (٥) وأبي أيوب خالد ابن زيد الأنصاري (٦) على إقعاد أمير المؤمنين في الخلافة وجمعوا رأي الناس جميعاً من أنصار و مهاجرين ، فلما بايعوه في المسجد أمر الإمام بإحضار عبد الله بن عمر ، فقال له : بايع قال : لا أباع حتى يبايع جميع الناس فقال له الإمام علي (ع) : فأعطني حميل (كفيلاً) أن لا تبرح قال : ولا أعطيك حميلاً قال الأشتر : يا أمير المؤمنين إن هذا قد أمن من سوطك و سيفك فدعني أضرب عنقه. فقال الإمام : لست أريد ذلك

(١) يونس / ١٠

(٢) كتاب الجمل وصفين جمع وتحقيق حسن السنيدي، لندن مؤسسة دار الإسلام، ٢٠٠٠، ص ٥٧

(٣) ولد سنة ٥٧هـ قبل الهجرة و هاجر الى المدينة و شهد بدر و أحد و الخندق و بيعة الرضوان واستشهد في صفين عام ٥٧هـ

(٤) استشهد واخوه عبيد في معركة صفين عام ٥٧هـ

(٥) صحابي شهد بدر و الخندق و المشاهد كلها و توفي سنة ٤١هـ

(٦) ضنابلي جليل استشهد عام ٥٠ هجرية فني القسطنطينية

منه على كرهه ، خلوا سبيله حين سأل الإمام (ع) سعد بن أبي وقاص البيعة أجابه: أن لا أبايع و لن يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبدا . فقال الإمام (ع): صدق خلوا سبيله. ثم بعث إلى محمد بن مسلمة فرفض البيعة فأجابه الإمام قائلا : فانطلق إذا ، وكن كما أمرت به. وهكذا بايع الناس الإمام (ع) راضين غير مكرهين ، و قد عبر من شاء أن يعبر عن رأيه في رفض مبايعة الإمام بكل حرية وأمان و استقلالية رأي غير آبه من أي عنف ولا خائف من أي عقوبة لأنه يعرف تماما سيرة الإمام ومنهجه الذي يسير عليه في حياته العملية ويعرف مدى ما منحتة عقيدة الإسلام من حرية للفرد في التفكير و التعبير ذلك أن الأصل في الإسلام الحرية في العقيدة. وحين تخلف عبد الله بن عمر عن البيعة وطلب من الإمام على (ع) أن يتنازل عن الخلافة أجابه الإمام (ع) : ويحك وهل ما كان عن طلب مني له؟ ألم يبلغك صنيعهم؟ والإمام يشير في جوابه عن طلب الرجل منه تعبيراً عن رأيه الشخصي فحسب في أن يترك رأي الناس جميعاً وطلبهم منه تولي الخلافة بوصفه الأولى والأفضل لهذه المسؤولية الحساسة، ولا سيما بعد ما حصل من فتنة في المجتمع المسلم بعد مقتل الخليفة الراشد الثالث و ما آلت إليه أحوال المسلمين ، و قد استجاب الأمام لطلب الأمة تأدية لواجبه الشرعي، لا رغبة في منصب دنيوي ولا دنيا فانية هي أهون عنده من عطسة عنز، يشير الإمام إلى أن توليه الخلافة كان لرغبة الناس الأكثرية منهم فلا يسوغ لرجل أن يطالب الأمام بالتناحي في مقابل رأي الأكثرية من دون سبب مقنع. وحين بلغ الإمام أن ابن عمر قد خرج إلى مكة يفسد الناس عليه قال : دعوه وما أراد(١). وفي هذا الموقف دليل دامغ على احترام حرية التعبير و التفكير عند الطرف الآخر المعارض للخليفة ورفض سياسة القمع السياسي و الفكري وديكتاتورية السلطة و كل ماله علاقة بذهنية التحريم و التجريم، وقيام حكم الإمام على أسس عقيدية منسجمة مع التصور الإسلامي للحكم والإدارة في الإسلام. وعلى الرغم من الأمام قد أذعن لمن أصروا على التحكيم في واقعة صفين بعد أن قال لهم وهم من جيشه "وما رفعوها إلا خديعة ودهنا ومكيدة" كما تروي المراجع التاريخية ، وذلك حقنا للدماء ووأدا للفتنة التي سببتها مشورة عمرو

(١) كتاب الجمل وصفين و النهروان/ ٦٠

بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان ، لكن هؤلاء رجعوا إلى الكوفة مباينين للإمام وأقاموا بقرية من قرى الكوفة تدعى حروراء بعد عودته إلى الكوفة من صفين ، وقد ارتدوا عن التحكيم بعد أن وافق الإمام عليه مضطرا . ومع إن من عارض الإمام انطلق من طمع في حكم، أو حقد، أو فرار من عدل فإن الإمام (١) قد قال لمن قال له بعد أن قام يخطب في المسجد: لا حكم إلا لله " الله أكبر كلمة حق يلتبس بها باطل. أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمون: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها أسمه ولا نمنعكم الفئ مادامت أيديكم مع أيدينا. ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا. ثم رجع إلى المكان الذي كان فيه من خطبته " ومن هذه الرواية يمكن أن يستدل المتلقي بصورة واضحة لا غبش فيها، بأن الإمام (ع) قد منح الرأي الآخر المعارض لحكمه حقوقه التالية:

- ١- حق التعبير عن الرأي.
- ٢- حقوقه الاقتصادية
- ٣- حق ارتياد المساجد، و المسجد مركز اجتماع المسلمين ، و مركزا للحكم والإعلام وكان ذلك الموقف من الإمام (ع) مستندا بطبيعة الحال إلى القرآن الكريم ، وسنة رسول الله (ص)، وهو الخليفة لرسول الله (ص) منذ غدير خم . و لم يتراجع الإمام عن عرضه تحت ضغط الظروف الميدانية و غيرها لأن الموقف من المواقف المبدئية التي تفرض حق الاختلاف بين البشر في حدود ما تسمح به الشريعة الإسلامية وإراقة الدماء ، لأن لجوء المعارضة إلى العنف المسلح في الحوار مع الحاكم المسلم من غير تبرير مقبول شرعا يعني بالضرورة موقفا لا عقلانيا يستهدف سلب المجتمع ضرورات حياته التي هي من مسؤوليات الحاكم في الإسلام. و مرة أخرى نقرأ في موقف الإمام على (ع) احترام الرأي الآخر حين قدم الخريت بن راشد (ت ٣٩هـ) على الإمام في ثلاثة مائة رجل من بني ناجية فيقول للإمام و الله يا علي : لا أطيع أمرك ، و لا أصلى خلفك، وإنني غدا لمفارقك - و ذلك بعد تحكيم المحكمين - فيجيبه الإمام (ع) :

(١) كتاب الجمل وصفين و النهروان، مصدر سابق، ص ٥٧

ثكلتك أمك ، إذ تعصى ربك، وتنكث عهذك ولا تضر إلا نفسك . خبرني
 لم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في الكتاب ، وضعفت عن الحق إذا جد
 الجد، وركنت إلى الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك زار وعليهم ناقد ولكم
 جميعا مباين. فما كان من الإمام (ع) إلا أن قال له: هلم أدارسك الكتاب
 أناظرك في السنن وأفاتحك أمور من الحق أنا أعلم بها منك . فلعلك
 تعرف ما أنت له الآن منكر ، و تستبصر ما أنت عنه الآن جاهل.
 قال:فأني عائد إليك . قال (ع): لا يستهوينك الشيطان ، ولا يستخفك
 الجهل ، و الله لئن استرشدتني واستصحتني وقبلت مني لأهديك سبيل
 الرشاد. والإمام في هذا الحوار يحاول أن يجلي حقيقة و ما حدث
 لهذا الشخص كي لا تتشابه عليه الأمور ، بالحوار الهادئ المستند
 على كتاب الله (أدارسك الكتاب) ، وسنن أنبياء الله و رسله
 (وأناظرك في السنن)، فهي مناظرة الند للند بهدف الوصول إلى
 الحقيقة من دون إرهاب أو عنف أو استغلال سلطة و غير ذلك. ثم حين
 يسأل الإمام (ع) أحد أصحابه طالبا أن يعاقبه على عصيانه خليفة
 رسول الله (ص) وهو الإمام الهادي سبيل الرشاد قائلا: "و لم لا تأخذه
 الآن و تستوثق منه وتحبسه؟ يقول الإمام: إننا لو فعلنا هذا بكل من ننتهمه
 من الناس ملأنا سجننا منهم ولا أراه يعني الوثوب على الناس و
 الحبس و العقوبة حتى يظهروا لنا الخلاف . " و من هنا نجد الإمام لا
 يستقل ما للناس من حق التعبير وفق ضوابط الشرع وسنة الله في
 الخلق . مما يدفع المجتمع قدما نحو الأمام . بل شجع القرآن الكريم
 على الإحسان للكفار (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
 يخرجوكم من دياركم أن تبزؤهم و تقسطوا إليهم ، ن الله يحسب
 القسطين)(١)

و قد سار الإمام الحسن بن علي (ع) على نهج أبيه و مناظراته مبنوثة
 بكثرة فيما رواه المؤرخون و منها (٢) أنه دخل يوما على معاوية بن
 أبي سفيان وكان عنده عبد الله بن الزبير، فقال له معاوية يثيره
 للتناول على الإمام (ع) : لو افتخرت على الحسن، فإنك ابن حواري
 رسول الله وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر فقال له ابن

(١)الملتحنة/٨

(٢)الإمام الحسن القائد و التاريخ/ بيروت، دار البيان العربي، ١٩٩٩، ص٢٦٣/١٥٢

الزبير أنا له. حتى إذا استوى المجلس بالإمام أشعل ابن الزبير فتنة قائلاً للإمام: لولا أنك خوار في الحرب غير مقدم، ما سلمت معاوية الأمر، وكنت لا تحتاج إلى اختراق السهوب، وقطع المفارز، تطلب معروفه، وتقوم ببابه، وكنت حرياً أن لا تفعل ذلك، وأنت ابن علي في بأسه ونجدته، فما أدري ما الذي حملك على ذلك؟ أضعف في الرأي أم وهن و نحيرة، فما أظن لك مخرجاً من هاتين الخلتين، أما والله لو استجمع لي لعلمت أني ابن الزبير، وأني أنكص على الأبطال وكيف لا أكون كذلك و جدتي صفية بنت عبد المطلب، و أبي الزبير، من حوارى رسول الله، وأشد باساً، وأكرمهم حسبا في الجاهلية، و أطوعهم برسول الله. فقال له الإمام يحاوره: أما والله لولا أن بني أمية تنسبني إلى العجز عن المقال لكفت عنك تهاونا، ولكن سأبين لك ذلك لتعلم: أني لست بالعي، ولا الكليل اللسان، إياي تعير، وعلى تفخر ولم يكن لجدي بيت في الجاهلية، ولا مكرمة، فزوجته جدتي صفية بنت عبد المطلب فبذخ على جميع العرب بها، وشرف بمكانتها، فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها ومن الأشراف سادتها، نحن أكرم أهل الأرض زندا، لنا الشرف الثاقب و الكرم الغالب، ثم تزعم: أني سلمت الأمر، فكيف يكون ذلك ويحك هكذا؟ وإنما أنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين، وخير الأماء، لم أفعل ذلك ويحك جبنا ولا ضعفا، ولكن بايعني مثلك و هو يطلبني بكرة، ويداجيني المودة، ولم أثق بنصرته لأنكم بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول؟ وقد بايع أبوك أمير المؤمنين، ثم نكث بيعته، ونكص على عقبيه، واختدع حشية من حشاي رسول الله ليضل بها الناس، فلما دلف نحو الأعنة، ورأى بريق الأسنة، قتل مضیعة لا ناصر له، وأتى بك أسيرا قد وطأتك الكمأة بأظلافها، والخيل بسنابكها و إعتلاك الأشتر، فغصصت بريقك، وأقغيت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته الليوث، فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها، و بنا تفتخر الأمة، وإلينا تلقى مقاليد الأمة أتصنول وأنت تختدع النساء؟ ثم تفتخر على بني الأنبياء، لم تزل الأقاويل منا مقبولة، عليك وعلى أبيك مردودة، دخل الناس في دين جدتي طائعين و كارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين فصار إلى أبيك و طلحة حين نكثا البيعة و خدعا عرس

رسول الله ، فقتل أبوك وطلحة، وأتى بك أسيرا ، فبصبصت بذنبك ، وناشدته الرحم حتى لا يقتلك فعفا عنك فأنت عتاقة أبي ، وأنا سيدك وسيد أبيك ، فذق وبال أمرك . فسكت ابن الزبير وخجل ، فأردف الإمام : اعذر يا أبا محمد، فإنما حملني على محاورتك هذا وأشار إلى معاوية فهلا إذا جهلت أمسكت عني ، فإنكم أهل بيت سجيتمكم الحلم والعفو ثم التفت إلى معاوية قائلاً: أنظر هل أكيع عن محاورة الناس أحد ، ويحك أتدري من أي شجرة أنا ، وإلى من أنتمي؟ انته قبل أن أسميك بميسم تحدث به الركبان في الأفاق و البلدان . فقال ابن الزبير : هو لذلك أهل . فقال له معاوية : أما إنه قد شفا بلابل صدري منك ، ورمى مقتلك ، فصرت كالحجل في كف البازي ، يتلاعب به كيف أراد ، فلا أراك تفتخر على أحد بعدها . انتهت الرواية.

ويكاد المتأمل في عناصر الحوار يتلمس بصورة واضحة أهم معالم الرأي و الرأي الآخر ، حين يلوم عبد الله بن الزبير الإمام الحسن (ع) على صلحه معاوية متهما إياه بواحد من احتمالين : الجبن ، أو خطل الرأي ، و يفخر ابن الزبير ليبين بأن سبب رده عليه يكمن في دفع ظن من يظن عجزه عن الرد وهو ليس كذلك ، ويقول له بأن الزبير قد شرف بزواجه، التي هي جدة الحسن (ع)، و أن صلحه معاوية ناجم عن يقينه بعدم نصره من بايعه، مذكرا مذكرا إياه بأسره من الأشر في الحرب فأى شجاعة تلك التي يدعيها بلسانه ثم ينتهي الإمام بقوله أن الرد قد جاء بعد تحريض معاوية لعبد الله على الدخول في حوار مع الإمام ، وينصحه أن لا يقع في هذا مستقبلا و يتزود بالحلم.

وهذه زينب أخت الإمام الحسين بن علي (ع) بعد استشهاد يوم عاشوراء يقتادها جيش ابن زياد مع أهل بيتها إلى مجلس ابن زياد، وهو يحاورها قائلاً: الحمد لله الذي فضحك، وأكذب ألدوتكم، فتحاوره وهي في ذلك الموقف الصعب منكوبة لتقول (ع) : إنما يفتضح الفاجر ، ويكذب الفاسق ، وهو غيرنا، فقال كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا خيرا. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحتاج و تخاصم فأنظر لمن الفلج يومئذ . ثكلتك أمك يا ابن مرجانة. وتستمر الرواية (١)، وهي بهذا

الحوار مع قتلة أهل بيتها ، وفي هذا الموقف الرهيب، تضى حقيقة موقفها وترد على تضليل ابن زياد الناس وتفحم يزيد ببلاغتها وفصاحتها.

ويروي الطبرسي عن يثق به أن يزيد بن معاوية قال للإمام علي بن الحسين (ع) وقد حمل مع السبايا بعد عاشوراء إلى الشام : يا علي ، الحمد لله الذي قتل أباك. فأجابه الإمام (ع): قتل أبي الناس . فقال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفانيه . قال الإمام(ع): علي من قتل أبي لعنة أفتراي لعنت الله عز وجل؟ قال يزيد: يا علي اصعد المنبر فاعلم الناس حال الفتنة، و ما رزق أمير الله أمير المؤمنين من الظفر فقال الإمام علي بن الحسين(ع) : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا ابن المروة و الصفاء، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أنا ابن من علا فاستعلا ، فجاز سدره المنتهى ، فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى . فضج أهل الشام بالبكاء، حتى يخشى يزيد أن يرحل من مقعده ، فقال للمؤذن أذن فلما قال المؤذن الله أكبر ، جلس على ابن الحسين(ع) على المنبر فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الإمام (ع) يا يزيد هذا أبي أم أبوك فأنزل فنزل الإمام فأخذ بناحية باب المسجد وتستمر الرواية لتصور أي التزام أهل البيت باحترام الرأي الآخر ومناقشته بالحجة والبرهان وأدب القرآن الكريم في التعامل مع المعارضة المغتصبة حقهم في الخلافة.(١)وسأنتهي عرضي أمثلة من حوار أهل البيت(ع) بما رواه محمد بن يعقوب الكليني أنه قيل لأبي جعفر الإمام محمد بن علي الجواد(ع): أن الناس ينكرون عليك حداثة سنك؟ فقال وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل لنبيه(ص) : " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فو الله ما تبعه إلا علي (ع) وله تسع سنين. وروى الطبرسي أن المأمون بعدما زوج أبنته أم الفضل أبا جعفر(ع) كان في مجلس، وعنده أبو جعفر، ويحيى بن أكثم ، وجماعة كثيرة. فقال له يحيى ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي أنه نزل جبرائيل(ع) على رسول الله(ص) وقال يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك : سل أبا بكر ، هل هو

(١) زينب الكبرى/ جعفر النقي- قم، منشورات الرضي، ١٣٦٢، ص ٥١

عني راض! فاني عنه راض! فقال الإمام(ع) : لست بمنكر فضل أبي بكر ، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله (ص) في حجة الوداع : لقد كثرت على الكذابة، وستكثر بعدي، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فأعرضوه على كتاب الله عز وجل، وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به. و ليس يوافق هذا الخبر كتاب الله ، قال تعالى " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فالله عز وجل خفي عليه رضاه أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟! هذا مستحيل في العقول(١).

(١) موسوعة الإمام الجواد/ اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر إشراف آية الله الخزعلي - قم، مؤسسة ولي العصر، ١٩٤١هـ، ص

رابعاً: حق التعبير عند المفكرين المسلمين

ينطلق الفكر الإسلامي في تقرير حق التعبير من دليل البراءة الشرعية التي تجري عند الشك لوجود الدليل عليها و يكون الضابط في جريانها وجود الشك في التكليف إذ يقسم الفقهاء الحكم الشرعي إلى : حكم نظري : وهو إدراك الأمور الواقعية التي لا تقتضي بذاتها جريانا عمليا معينا وفي هذا يدخل إدراك العقل للمصلحة و المفسدة و القسم الثاني هو الحكم العملي : الذي يتمثل بإدراك الأمور الواقعية التي تقتضي بذاتها جريانا عمليا معينا مثل قوله تعالى " لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها" (١) فإتيان التكليف عرفا يعني وصوله إلى المكلف ولم يرد في القرآن الكريم ما يمنع التعبير عن الرأي ومن السنة ورد حديثا مرفوع عن رسول الله (ص) ، وما روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) " كل شئ مطلق حتى يرد فيه نهي" (٢). و يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر في معرض حديثه عن مفهوم الحرية" ولا يغير من الواقع شيئا أن تكون يده طليقتين مادام عقله وكل معانيه التي تميزه عن مملكة الحيوان معتقلة ونحن نعلم أن الشيء الأساس الذي يميز عن حرية الحيوان بشكل عام إنهما وإن كانا يتصرفان بإرادتهما ، غير أن إرادة الحيوان مسخرة دائما لشهوته وإحباطها الغريزية ، أما الإنسان فقد زود بالقدرة التي تمكنه من السيطرة على شهواته وتحكيم منطق العقل فيها فإذا اكتفيننا بمنح الإنسان الحرية الظاهرية في سلوكه العملي ووفرنا له بذلك كل إمكانيات ومغريات الاستجابة لغرائزه كما صنعت الحضارة الغربية الحديثة فقد قضينا بالتدريج على حريته الإنسانية، وعلى العكس من ذلك إذ بدأنا بتلك القدرة التي يكمن فيها سر الحرية الإنسانية فنمناها و غديناها وأنشئنا الإنسان إنشاء إنسانيا لا حيوانيا.... إذ صنعنا ذلك كله حتى جعلنا الإنسان يتحرر من عبودية شهواته وينعتق من سلطانها الأسر ويمتلك إرادته فسوف نخلق الإنسان الحر القادر على أن يقول لا و نعم دون أن نكتم فاهه أو تغل يديه هذه النزوة الموقوتة أو تلك اللذة المبتذلة و هذا ما صنعه القرآن حين وضع للمسلم طابعه

(١)الطلاق ٧/

(٢) ينظر دروس في علم الأصول المجموعة الكاملة لمؤلفات محمد باقر الصدر الحلقة الثالثة/ السيد محمد باقر الصدر، بيروت، دار المعارف، ١٩٨٩م

الروحي الخاص وطور مقاييسه ومثله " . وبهذا يؤكد الشهيد الصدر الأول على الحرية الحقيقية التي تكمن في الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس ضد الشهوات الدنيوية الفانية لينطلق في ممارسته الحياتية من عقله وإرادته، ومن هنا قلن يكون عنده تقبل للاضطهاد من مخلوق سواء مهما بلغ من الكبر عتياً. أما الشهيد السيد محمد بن محمد صادق الصدر فقد أشار إلى حرية التعبير في كتابه ما وراء الفقه الجزء الثالث فقال " وأما حرية الرأي والعمل وهما من باب متشابه فقهيًا لأنه يتضمن أن الإنسان يجوز له أو يحق له أن يقول ما يشاء أو يفعل ما يشاء و القول من جملة أعمال الإنسان على أي حال إن العمل الاقتصادي يختص بأهمية زائدة بطبيعة الحال . والحكم التكليفي المتعلق به أنه لا يجوز الحجز على فرد أو مجتمع ظلماً وبدون مبرر شرعي من أي من النواحي السابقة، وأما متى ما يصدق الظلم فهذا فعلاً خارج عن الموضوع؟ إلا أنه في الوقت نفسه لا يجوز أن يستغل حريته أو فعله الاجتماعي أو الاقتصادي في ظل الآخرين إذا كما أن من حقه أن يعيش براحة وحرية فمن حق الآخرين نفس الشيء" (١). ومن القواعد الفقهية في أصول الفقه قاعدة الإلزام التي ملخصها إلزام المخالفين بما ألزموا به أنفسهم (٢) و قد أجمعت الإمامية على صحة القاعدة ومن الروايات المذكورة عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) قوله " ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم..." مفاد هذه القاعدة أنه في كل مورد يلتزم به المخالف وإن كان يدين بما لا تقول به الإمامية بمقتضى مذهبه بورود ضرر عليه للموافق إلزام المخالف و قد أشار السيد محمد بن عبد الجبار إلى أن "ليس الحاكم سوى وكيل للأمة أو نائب عنها في تسيير الأمور و تطبيق القانون و بناء على هذا تمارس الأمة ثلاث صلاحيات أو حقوق هي : اختيار الحاكم ومراقبته إذا اخل بشروط الوكالة أو النيابة" (٣). و يقول السيد حسن قاضي الأميين الشرع

(١) ما وراء الفقه ج ٣ / محمد صادق الصدر - بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٥، ص ٢٤٣

(٢) القواعد الفقهية ج ٣ / ميرزا حسن الموسوي قم، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٤١ هـ، ط ٢

(٣) مقالات محمد عبد الجبار وآخرون - لندن، المنبر الدولي للحوار الإسلامي، ٢٠٠٣، ص ١٤٣

الجعفري في صيدا-لبنان" أن الإسلام يرى في إقامة الدولة و المجتمع الديمقراطي مدخلا لتأسيس العدل و التكافؤ وحرية الاختيار وهي قيم الإسلام في الأساس" و لدينا في التراث كتاب الأحكام السلطانية و الولايات الدينية للماوردي(ت ٤٥٠) في التنظير للسياسة في خلافة قائمة، و تنقل لنا الروايات عن أبي حنيفة (ت ١٨٠) قوله " رأي صواب يحتمل الخطأ و رأي غيري خطأ يحتمل الصواب" و قول الإمام مالك(٥١٨٠هـ)" ما حاورت أحد إلا و تمنيت أن يقر الله الحق على لسانه " و لدينا تراث ضخم من المؤلفات منها رسائل الشريف علي بن الحسين المرتضى ، و السياسة الشرعية لابن تيمية(ت ٥٧٢٨هـ)، والطرق الحكيمة لابن قيم الجوزية(ن ٧٥١هـ)، وطبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي (١٩٠٨م) ورسالة الميرزا محمد حسين النجفي النائيني (ت ١٩٣٦م)، وجهود إصلاحية في الحوزة الشيعية في النجف الإشرف (٢) و يذكر الدكتور يوسف القرضاوي أن " جوهر الديمقراطية بالقطع متفق مع جوهر الإسلام"(٣). وكان العلامة أبو الأعلى المودودي قد ذكر " وأما الحق الثالث فهو حرية في إبداء الرأي و المبدأ وقد أوضح الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قانون الإسلام في هذا الباب أحسن إيضاح لما كتب معاوية بن ابي سفيان بعد حكم الحكمين... فقال كونوا حيث شئتم و بيننا و بينكم أن لا تسفكوا دما حراما ، ولا تقطعوا سبيلا، ولا تظلموا أحدا، فالذي يظهر من هذا بوجه قاطع أن كل طائفة من طوائف البلاد إذا كانت لا توافق آراءها آراء الأمة الإسلامية لا تحول البلاد الإسلامية دون إظهار آراءها"(٤)

(١) رؤية إسلامية للديمقراطية/ مجلة النور، لندن، س ٣٤، ع ٣٤، ١٩٩٤
(٢) و قد فصل الحديث بذلك السيد حسين الشامي محاضرة القاها في مؤسسة دار الإسلام بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٤م
(٣) جوهر الديمقراطية من صميم الاسلام/ مجلة النور س ٣٤، ع ٣٤، (١٩٩٤)
(٤) تدوين الدستور الإسلامي-بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١، ١٩٨١م، ط ٥، ص ٦١

الفصل الثاني التعبير عن الرأي في القوانين الوضعية

التعبير عن الرأي في القوانين الوضعية:

أثير الكثير من التساؤلات بين المفكرين المعاصرين عن مرجعية الوثائق الأساس الأولى التي بين أيدينا عن حقوق الإنسان : هل هي مرجعية إسلامية ، أم عربية، أم عالمية النكهة ؟ و هل أن محتواها يمثل بعدا ثقافيا معيناً و يعكس رؤية خاصة للعالم ، أم أنه يمثل وعياً إنسانياً عاماً يتجاوز نسبية المفاهيم و يعلو عليها؟ و في الحقيقة فأن قوانين حقوق الإنسان المعاصرة قد حفزت العقل البشري لقراءة التراث الفكري القديم بمنظار معاصر.

و لعل من يقول بالأصل الأوربي الخالص لمفاهيم حقوق الإنسان يُعد جهلاً كبيراً بتاريخ البشرية و القيمة الفكرية و الحضارية و الثقافية التي ساهمت في الثقافات الإنسانية كلها على مر التاريخ. وأن ما تم عرضه في الفصل الأول يعد محاولة قراءة متأنية و قصيرة لمفهوم حق التعبير عن الرأي في ضوء عقيدتنا الإسلامية مما يشعُرنا بعراقة قيمنا الإنسانية المستمدة من توجيهات باري البشرية ومالكها و بعمق حضارتنا الإنسانية، فـ دستور المدينة، ووصية الأمام علي فضلاً عن المصادر التي تؤشر وعياً معيناً لهذه القضية في لحظتها التاريخية المحددة مثل كتاب الأحكام السلطانية للماوردي (ت ٤٥٠هـ) في فصله الأخير كلها وثائق تنتمي إلى الفكر الإسلامي السياسي. ولم يعتمد الباحث إلى التحليل الدلالي والأسلوبي الذي يتجاوز السرد المتتالي للآيات القرآن الكريم و الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام، و تحليل المفردات اللغوية التي يتأسس عليها مفهوم حق التعبير عن الرأي بوصفه واحداً من حقوق متعددة للإنسان ، ومن ثم مقارنة هذه المفردات بنظائرها على مستوى علاقات التضاد و الترادف من خلال منهجية تقوم بحصر الحقول الدلالية لصياغة مفاهيم قرآنية كلية وتساعد في إدراك علاقات تسمح بفهم للرؤية القرآنية للعالم.

و لعل هذا المنهج يكون في دراسة قادمة. لقد عملت الأمم المتحدة منذ نشأتها عام ١٩٤٥م على تكثيف جهودها في صياغة المعايير لحقوق الإنسان. ومنها حق التعبير عن الرأي ، بوصفها أحد مقاصد الأمم المتحدة التي أشار إليها الميثاق، فقد أكد في الفقرة الثالثة من المادة الأولى على تحقيق التعاون الدولي في حل المسائل الدولية ذات

الصيغة الاقتصادية والاجتماعية و السياسية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان و الحريات الأساس للناس جميعا و التشجيع على ذلك من دون تمييز ولا تفريق كما نصت المادة ٧٦ ج من الفصل ١٢ في نظام الوصاية الدولية على تشجيع على احترام حقوق الإنسان و الحريات الأساس للجميع و التشجيع على إدراك ما بين شعوب العالم من تقيد بعضهم البعض.

و تعد الأمم المتحدة التي تمثل دول العالم الثالث الغالبية العديدة فيها الإطار الدولي لبحث قضايا حقوق الإنسان، وتنشر الجمعية العامة دراسات بقصد المساعدة في تحقيق الحريات الأساس للناس كافة و منها حق التعبير عن الرأي ، و أن أغلب الموضوعات تحال على اللجنة الاقتصادية و الثقافية وعلى اللجنة القانونية وتحيلها هاتان اللجنتان إلى الجمعية العامة لإصدار قرارات بشأنها ومن حق الجمعية العامة وفق المادة ٢٢ من ميثاق الأمم المتحدة إنشاء بحسب ما تراه مناسبة من أجهزة فرعية لدراسة القضايا المختصة بحقوق الإنسان.

وبسبب الوضع الدولي الراهن تعد قضية حق التعبير مما يعرض السلم والأمن الدولي للخطر فتكون من اختصاص مجلس الأمن الدولي وفق المادة ٣٤ بوصفه المسئول الأول وهو ما تشير إليه الوثيقة المرقمة ١/٤٦/٨ المتضمنة تقرير الأمين العام الصادر في ١٩٩١/٩/٦ عن أعمال المنظمة الدولية ، و في هذا النطاق تم اتخاذ القرار ٦٨٨ عام ١٩٩١ م بشأن العراق. وكذلك طرحت مسألة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا وفي نا ميبيا وقضية معاملة السكان المدنيين في الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ م.

أما محكمة العدل الدولية فهي مخولة بإبداء الآراء الاستشارية عن قضايا حقوق و الإنسان بناء على طلب الجمعية العامة . و يختص المجلس الاقتصادي والاجتماعي حصرا بقضايا حقوق الإنسان و تنبثق عنه لجان وظيفية خاصة بحقوق الإنسان فضلا عن اللجان المنبثقة عن الاتفاقيات الدولية وللمجلس الحق وفقا للمادة ٦٢ من الميثاق تقديم توصيات بإشاعة احترام حقوق الإنسان و الحريات الأساس ومراعاتها ومنها حق التعبير وطبقا للمادة ٦٨ من الميثاق أنشئت لجان تعزيز حقوق الإنسان ومن بينها لجان تعزيز حقوق الإنسان ومن بينها لجنة

المنظمات الغير حكومية. أما لجنة حقوق الإنسان التي تم إنشاؤها وفق المادة ٥٨ من الميثاق عام ١٩٤٦ / المتكونة من ٥٣ دولة منتخبة و أن دول العالم الثالث هي ذات الأغلبية في هذه اللجنة التي تقوم بأعداد الدراسات و صياغة التوصيات و تقديم المعلومات وتشكيل مجموعات العمل ودراسة الانتهاكات الخطيرة والشكاوى المختصة بها، أما اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الاقليات التي أنشئها لجنة حقوق الإنسان و المنظمة العربية لحقوق الإنسان قوة ضغط دولية فعالة في أعمال الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان.

وقد اعتمدت الجمعية العامة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بقرارها ٢١٧/أ(٣/د) المؤرخ ١٠/١٢/١٩٤٨م وقد طلبت الجمعية العامة من البلدان الأعضاء كافة أن تدعو لنص الإعلان وأن تعمل على نشره و توزيعه وقراءته وشرحه وقد ذكرت ديباجة الإعلان لما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية أذنت الضمير الإنساني وكان غاية ما تروى إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفرع والفاقة و لما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكي لا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم... و لما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا العهد فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان لحقوق الإنسان على إنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات وقد نصت المادة ١٨ منه على: لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقييد بالحدود الجغرافية.

وكان مؤتمر علماء المسلمين في كراتشي أصدر " الدستور الإسلامي " عام ١٩٥١م الذي نص في مادته السابعة: " يتمتع أهل البلاد في حدود القانون بجميع الحقوق التي منحها إياهم الشريعة الإسلامية من حماية النفس و المال و العرض وحرية المبدأ و المسلك وحرية العبادة و الحرية الشخصية وحرية أبدا الرأي وحرية الاجتماع وحرية محاولة

اكتساب لرزق و المساواة في فرص الرقي والاستفادة من المؤسسات الاجتماعية (١) كما نص إعلان روما حول حقوق الإنسان في الإسلام الذي نشرته رابطة العالم الإسلامي بعد انتهاء ندوة حقوق الإنسان في الإسلام (٢٠٠٠/٢/٢٠م) على أن في المبدأ الثالث منه " اعتبار إسهام المنظمات غير الحكومية في الجهود المبذولة في إعادة صياغة المواثيق و المبادئ المتعلقة بحقوق الإنسان عاملا إيجابيا في تحقيق الشمولية المطلوبة ومساعدتهم في تكامل الرؤى و الجهود الإنسانية الساعية لحماية الإنسان وضمان حقوقه كما نص المبدأ الرابع على " تشجيع الحوار بين الثقافات و الحضارات بما يساعد على تفهم أفضل لحقوق الإنسان " وأوردت الندوة المنطلقات ومنها : " كرامة الإنسان هبة من الله تعالى و هذه الهبة الإلهية هي المصدر و المعيار لحقوق الإنسان وواجباته باعتبارهما قيما متلازمة ومتكاملة لتفعيل حركة الإنسان في ميادين الحياة وفق إرادة الله تعالى (ومنها احترام الخصوصيات الدينية و الثقافية على أسس من الإيمان بالله تعالى"

و في اجتماع عقد في مقر اليونسكو في باريس بتاريخ ١٩/٩/١٩٨١ عن المجلس الإسلامي العالمي البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام (٢) نص على "المساواة في المجتمع أساس التمتع بالحقوق و التكليف بالواجبات و المساواة تنبع من وحدة الأصل الإنساني المشترك" وفي الوثيقة التي صدرت عن هذا المجلس في كراس مستقل نصت المادة ١٢ على "أن لكل شخص أن يفكر و يعتقد و يعبر عن فكره و معتقده، من دون أو مصادرة من أحد مادام يلتزم الحدود العامة التي أقرتها الشريعة وأن التفكير الحر بحثا عن حق ليس مجرد حق فحسب بل واجب كذلك... ومن حق كل فرد ومن واجبه أن يعلن رفضه للظلم وإنكاره له وأن يقاومه دون ريب من مواجهة سلطة متعسفة أو حاكم جائر أو نظام طاغ وإن احترام مشاعر المخالفين من خلق المسلم " ونصت المادة ١٣ منه على " أن لكل شخص حرية الاعتقاد وحرية العبادة وفقا لمعتقده " . و قد نص بيان المؤتمر التاسع عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في القاهرة في

(١) الحق القديم / ١٣٨

(٢) الحق القديم / ١٣٤

١٩٩٠/٧/٣١ م المسمى إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام (١) في المادة ٢٢ " لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه وبشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية وله الحق في الدعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وفقا لضوابط الشريعة الإسلامية ولا يجوز إثارة الكراهية القومية أو العنصرية وكل ما يؤدي إلى التحريض على التمييز العنصري بكل أشكاله" وقد صدر عن ندوة حقوق الإنسان في الإسلام بين الخصوصية والعالمية التي نظمها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن - عمان بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم الثقافية في الرباط عام ١٩٧٧م "الإسلام يكفل الحرية السياسية التي تعني حرية التعبير عن الرأي الذي يتعلق بشؤون الأمة و الحكم وعلاقتها في الداخل و الخارج وذلك ضمن دائرة العقيدة الإسلامية وتعاليمها في الحفاظ على سلامة مجتمع الأمة وتوفير الاستقرار له" (٢) إن الاختلاف في النظر إلى حقوق الإنسان و المسائل الأخرى المتعلقة بها بين دول العالم المتقدم و العالم النامي نابع من اختلاف القيم الثقافية لشعوب العالم ذلك أن مفاهيم الغرب عن الحقوق نشأت في ظل القانون الطبيعي وإن ما يحدد الحقوق تصرفات الناس الذين أوجدوا هذه الحقوق ليضبطوا تصرفاتهم. و قد أتضح إن حركة حقوق الإنسان المعاصرة مرت بمراحل منها إصدار المواثيق الدولية بوصف الإنسان فردا يتمتع بصفته بحقوق سابقة للكيانات الاجتماعية ومن ثم مرحلة تكريس حقوقه الفردية و السياسية والاجتماعية وأخيرا مرحلة التضامن بين البشرية من زاوية ممارسة الحق في بيئة نظيفة من الظلم فالأنظمة الغربية تحصر اهتماماتها بقضايا حقوق الإنسان في الجوانب الفردية و السياسية و المدنية بينما تحصر الأنظمة الشيوعية هذا الاهتمام في الحقوق الاقتصادية و الاجتماعية (٣) ومن الناحية العملية فإن الغرب وأمريكا صارا يستخدمان مصطلح حقوق الإنسان في صندوق النقد الدولي ،

(١) الحق القديم/ ١٦٠

(٢) الحق قديم/ ١٧٤

(٣) العالم الثالث وحقوق الإنسان/ د. رياض عزيز هادي، بغداد دار الشؤون الثقافية العام/ ص ٢٨

وفي التدخل كذلك لأغراض إنسانية مثل الكوارث و الحروب الأهلية بحقوق الإنسان حتى أصبحت الدول النامية موضوعا لبحث حقوق الإنسان لغرض الهيمنة من باب الربط بين حقوق الإنسان وحفظ السلم والأمن الدوليين بدلا من أن تكون قوى مؤثرة في حركتها. وفي ظل الاستخدام السياسي صار انتهاك هذه الحقوق من وجهة نظرهما مبررا للتدخل العسكري والسياسي في الشؤون الداخلية لهذه الدول فضلا عن ربط عند منح المساعدات المالية من المؤسسات الدولية في أمريكا و الغرب لخصومها السياسيين بمنطق مخالفة حقوق الانسان. لقد أبرز عصر الأنوار في أوربا تاريخ صعود الشرائح المجتمعية الهامشية في مجتمع أرستوقراطي و أبرز كذلك سياقاً تاريخياً لما سمي الليبرالية الذي ركز على الهوية الفردية في مجتمع لا سلطة مطلقة فيه ، كما شكل عصر الأنوار مرجعاً لمنظومة قافية فلسفية موجزة في مفهوم الإنسانية تحاصر الثقافة الكنسية. ثم جاء جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٨٧م) بنظرية العقد الاجتماعي التي تعد مصدراً لمشروع الليبرالية التقليدية و تعبيراً عن طموح تاريخي عام في مجتمع أوربا في القرنين الخامس و السادس عشر وملخص هذا العقد علاقة تحكم الفرد و الجماعة يعبر عنها قانون أسمى ترعاه مؤسسة سياسية هي دولة القانون المتضمنة السلطات التشريعية و التنفيذية والقضائية التي تضمن حق المواطن في المشاركة في القرار السياسي (١) ، وكان من نتائج النهضة الأوربية والإصلاح الديني انهيار الكيان السياسي للإمبراطورية في القرون الوسطى لصالح ممارسة الإنسان مزيداً من حقوقه. وفي بريطانيا صار مجلس العموم الملوك وانضمت إليه قوى شعبية فصارت الملكية دستورية وفي فرنسا كما ذكرنا أكد جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٦) على الحقوق الطبيعية للفرد و سيادة الشعب وشرعية الانتفاضة على الحكم المستبد ومن أبرز أقطاب عصر الأنوار فولتير و مونتيسكو وروسو. وفي أمريكا وجه فرانكلين روزفلت

(١) المحاماة وحقوق الإنسان بالمغرب المعاصر/أحمد بنحسو، الشركة المغربية، ١٩٩٤، ص ٣٠

رئيس جمهوريتها عام ١٩٤١م رسالة إلى الكونغرس تضمنت تحديد
حريات أربع منها حرية التعبير.
والجدير بالذكر إن الحيز المتاح من حرية التعبير في الغرب ليس
مطلقا على الرغم مما توحيه لغة الخطاب السياسي الغربي فقد تخرج
الحكومة بعض الآراء من حماية القانون و ليس لوسائل الأعلام مطلق
الحرية في كتابة ما تشاء. وفي حقيقة الأمر لا يمكن أن تكون حرية
التعبير مطلقة بلا حدود أو ضوابط وبغير مسؤولية لأنها يمكن أن
تؤدي إلى عواقب وخيمة.

نتائج البحث

أولا : التعبير في لغتنا العربية مصدر بمعنى الأعراب بالكلام عن النفس و قد ورد في اللغة العربية العديد من الألفاظ بهذا المعنى مثل الحوار، المناظرة، الجدل....

ثانيا : لدينا عدد كبير من المصادر التراثية في التعبير وآدابه وشروطه تدل على عناية الباحثين ، كما أن التعبير عن الرأي لم ينل اهتماما مميزا من الفقهاء المعاصرين على أساس قاعدة البراءة وقاعدة الإلزام إذ يعد البحث فيه من تحصيل الحاصل .

ثالثا : يؤكد القرآن الكريم على أهمية احترام هذا الحق في العديد من الآيات البينات وكذلك سيرة المعصومين الأربعة عشر فيما ورد عنهم من قول و فعل وممارسة يومية.

رابعا : ركزت المصادر الغربية و الذهنية التابعة لها من الباحثين على المرجعية الغربية للمصطلح وهي دعوى ثابت بطلانها بمنظورها الثقافي الإسلامي والحضاري

خامسا : أعطت الممارسات الحكومية في البلدان النامية ولا سيما التي يكثر فيها المسلمون ذريعة قوية للقوى العظمى و سياسة المعايير المزدوجة في استخدام العقوبات الدولية ضدها بسبب تفرد الحاكم في السلطة غير الشرعية و انعدام المشروعية الثقافية التي تعد شرطا في نجاح حركة حقوق الإنسان ولا سيما حق التعبير.

ثُبت المصادر

القرآن الكريم

الإسلام والأخلاق و السياسة/محمد أركون- باريس ، مركز الاتحاد القومي، ١٩٩٥

إشكالية مفهوم المجتمع المدني/ د.كريم أبو حلاوة-دمشق – الأهالي للطباعة، ١٩٨١م

أشهر الملحنين في الموسيقى العربية/ محمد أبو زينو-تونس، الشركة التونسية، ٢٠٠٠م

الإمام الحسن القائد و التاريخ/ ، بيروت دار البيان العربي، ١٩٩٩م

الإمعان في حقوق الإنسان/د. هيثم مناع-دمشق ، الأهالي للتوزيع، ٢٠٠٠م

انتهاك حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة/ترجمة سليم راغب – عمان-دار الجيل، ١٩٨٤م

الأهل والدولة/محمد محفوظ- بيروت، دار الصفوة- ١٩٨٨م

تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ، بنغازي ، دار ليبيا للنشر د،ت

تاريخ الموسيقى الشرقية/سليم الحلو، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٧٤م

تحديات الحركة العربية لحقوق الإنسان/بهي الدين حسن وآخرون- القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ١٩٩٧م

تدوين الدستور الإسلامي/أبو الأعلى المودودي – بيروت-مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ط٥،

تونس وحقوق الإنسان/رشيد إدريس وآخرون، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٠م

- التنوع و التعايش/حسن الصفار- بيروت، دار الصفوة، ١٩٩٧م
- جوهـر الديمقراطية من صميم الإسلام/يوسف القرضاوي، لندن، مجلة
النور، س٣٤٤ع، م١٩٩٤
- الحرية الإسلامية/ محمد الحسني الشيرازي- قم ، مؤسسة
الفكر الإسلامي، ١٤١٢هـ (ط٢)
- الحريات العامة وحقوق الإنسان /أحمد البخاري وأمينـة جبران-
مراكش، المنشورات الجامعية، ١٩٩٦ م
- الحق قديم/غانم جواد-القاهرة-مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان
٢٠٠٠م
- الحق وفقا للقانون الكويتي/ د.عبد الحق حجازي-الكويت جامعة
الكويت، ١٩٧٠م
- حقوق الإنسان في المغرب/د.محمد ظريف – المغرب-المجلة
المغربية لعلم الاجتماع السياسي، دت
- حقوق الإنسان في السجون/د.غانم محمد غنام-الكويت- مطبعة
الفيصل ، ١٩٩٤م
- حقوق الإنسان في الوطن العربي، د،م، القاهرة المنظمة العربية
لحقوق الإنسان، ٢٠٠١م
- حقوق الإنسان في الوطن العربي، حسين جميل، بيروت ، مركز
دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م
- حقوق الإنسان في الوطن العربي/ د،م ،القاهرة المنظمة العربية
لحقوق الإنسان، ١٩٩٧م
- الحقوق الطبيعية/د.ملحم قربان-بيروت-المؤسسة الجامعية-١٩٨٣م
- الحكومة الديمقراطية/فاضل الصفار- بيروت دار المحجة البيضاء،
١٩٩٧م

الخطاب السينمائي بين الكتابة و التأويل/ محمد نور السدين-
الرباط، منشورات عكاظ، د، ت

دروس في علم الأصول/ السيد محمد باقر الصدر، بيروت، دار
التعارف، ١٩٨٩ (المجموعة الكاملة-الحلقة الثالثة)

دفاعا عن حقوق الإنسان ج ٥/د، م-القاهرة، المنظمة المصرية لحقوق
الإنسان، ١٩٩٧ م

الديمقراطية بين العلمانية والإسلام/د. عبد الرزاق عبد ود. محمد عبد
الجبار-بيروت، دار الفكر، ١٩٩٩ م

الديمقراطية والحكم بالإسلام/محمد عبد الجبار-لندن، مجلة النور، س
٣٤، ١٩٩٤ ع ٣

الديمقراطية والإسلام/ سليم قندلفت-سوريا، أرواد للطباعة، ١٩٩٦ م

رؤية إسلامية للديمقراطية/محمد حسن الأمين- لندن، مجلة
النور، س ٣، ع ١٩٩٤، ٣٤

زينب الكبرى/ الشيخ جعفر النقدي-قم-منشورات الشريف
الرضي، ١٣٦٢ هـ،

السيرة النبوية/ السيد سامي البدري، طهران، مطبعة
الكرماني، ١٤٢٠ هـ

شرعية الاختلاف/ عبد الله يوسف - بيروت-دار الصفوة، ١٩٩٦ م
صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، بيروت، دار القرآن،
١٩٨٠، ٣ ج

العرب بين قمع الداخل وظلم الخارج/ بهي الدين حسبي-
مصر، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٠ م

فن الحوار، زهير جميل محمد الكتبي، دم؟، دت، ١٩٩٤ م

فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية/نعمت إسماعيل
علام، مصر دار المعارف، ١٩٧٤م

القمع الفكري في المؤسسات المصرية/د.م، القاهرة، المنظمة
المصرية لحقوق الإنسان، ١٩٩٦م

القواعد الفقهية ج٣/ ميرزا حسن الموسوي، قم المقدسة، مؤسسة
اسماعيليان، ١٤١٣هـ، (ط٢)

كتاب التعريفات/ الشريف الجرجاني، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٤م

كتاب الجمل وصفين والنهروان/تحقيق حسن السنيد-لندن، مؤسسة
دار الإسلام، ٢٠٠٠م

كلمة الرسول الأعظم/حسن الشيرازي، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٢
ط٣،

ما وراء الفقه ج٣، السيد محمد بن محمد صادق الصدر-بيروت-
دار الأضواء، ١٩٩٥م

المجادلة بالتّي هي أحسن/حازم الحلي-لندن- مجلة
النور، س١٤، ع٢٠٠٤، ١٥٧م

المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان ولغته/محمد سعيد بنسائي،
المغرب، المعهد الوطني للدراسات القضائية، ١٩٩٤م

المحاماة وحقوق الإنسان بالمغرب المعاصرة/أحمد
بنحسو، الرباط، الشركة المغربية، ١٩٩٤م

محمد باقر الصدر/ هيئة التحرير، د.ت ايران، مجلة سروش العالم
العربي، س٨ ع١٤٠٩، ٩٥هـ،

مسند الإمام السجاد / جمع عزيز الله عطاردي-خراسان-منشورات
عطاردي، ١٣٧٩ج٢،

المصادر/د.م – القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ١٩٩٤م

المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، لندن، المنبر الدولي
للحوار، ٢٠٠٣م

المناظرات في الأدب العربي والإسلامي/د. حسين الصديق- القاهرة،
الشركة، المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٠ م

موسوعة الإمام الجواد/ اللجنة العلمية-قم، مؤسسة ولي
العصر، ١٤١٩هـ



لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

حَقُّ النُّعْبِيرِ
فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَالْفَوَائِدِ الْوَضْعِيَّةِ



أَيُّمَن جَعْفَرُ صَادِقُ التَّمِيمِي

